

## تدوين الأحداث التاريخية يخدم مصالح الإرهاب والتطرف

الخطاب الراديكالي يستعين بمرويات مُناقضة للأخلاق لتبرير القتل غدرا



نجحت الجماعات الإسلامية المتطرفة في استغلال التاريخ الإسلامي لإضفاء مشروعية على العديد من جرائمها وذلك باستحضار مرويات تاريخية تشرعن للإرهاب لتستفيد بذلك من عودة رجال الدين التقليديين إلى التاريخ من أجل استعادة حوادث تركز على تسامح النبي والصحاب.



القاهرة - فتحت العودة إلى التاريخ أبوابا عدة للجماعات الراديكالية لانتقاء مرويات تُدلل على صواب انتهاج العنف تجاه الآخر، والرد على الكلمة أو التعبير المسيء بالقتل. واستند مُفكرو الإرهاب والسائرون في ركابهم على حكايات بعينها تحمل أوامر بالقتل أو سلوكيات عنيفة تجاه أصحاب العقائد الأخرى لتبرير الإرهاب باعتباره إحدى أدوات الدين للتمكن والانتشار.

إذا كان البعض من رجال الدين التقليديين والرسميين يلجأون إلى الرد على حوادث الإرهاب التي ينتهجها بعض المسلمين في أوروبا بحكايات تاريخية تُركز على فكرة تسامح النبي محمد (ص) والصحاب مع أصحاب الديانات الأخرى، فالخطاب الأصولي الراديكالي المضاد يلجأ إلى الحيلة ذاتها لتأكيد العكس، نازعا حكايات موروثية أخرى من سياقاتها ويقدمها لشرعة الإرهاب.

ومن بين الحكايات الشهيرة الأكثر استخداما، حكاية الشاعر كعب بن الأشرف، المقيم في حصن بني النضير، وكان يكتب الشعر في هجاء الرسول واللعن في الإسلام. وتذهب الحكاية الواردة في كتاب "البحاري" إلى أن أنشط كعب أهدم أحدهم وهو محمد بن مسلمة، ومعه نفر من المسلمين وعرضوا قتله غيلة.

وتواصل رواية البخاري سرد الواقعة، إذ ذهب بن مسلمة مع بعض المسلمين في الليل إلى حصن كعب، وكان صديق بن مسلمة صديقا له في الماضي، فنأدى عليه، فلما عرفه قابله، لكن فرقة الاغتيال قامت بالانفاس حوله وقتل غدرا، ثم عاد القتل إلى النبي وأخبروه بما فعلوا.



حسن حماد

القرآن إلهي من حيث المصدر، لكنه بشري من حيث الوسيط اللغوي والفهم والتفسير والتأويل

المؤسف في الحكاية التاريخية أنها تؤكد غدر المسلمين، وشجاعة الضحية، الذي عبر عن رايه بشعر فقتل، رغم أن هناك الكثير من سمات اللامنتطقية في الرواية بدءا من الاختلاف حول عدد مجموعة الاغتيال، وتاريخ الواقعة، وحتى ما تضمنته بشأن تحذير زوجته له من الخروج استجابة لمن ينادونه، ورده هو عليها بأن "الكريم إذا نعى لنعنة لبيل لأجاب" وهي عبارة تمثيلية يصعب نقلها على لسان رواة الحكاية من المسلمين، لأنهم لم يشهدوا حديث كعب وزوجته له.

كما أن القول بإجازة النبي للفعل يناقض كافة تصرفاته حيال مخالفيه وخصوصه، ففي مدينة الطائف تعرض النبي للإيذاء الشديد والسخرية، لكنه لم يقبل بأن يدعو عليهم، وعفا عن كفار قريش الذين قاتلوه وأتوه عندما انتصر عليهم.

المثير أن الحكاية تُستخدم، مع ذلك بوصفها دليلا دينيا لقتل غير المسلم، إذا

سب الدين أو النبي، وقد أجاز ابن تيمية ذلك، وأقرته جماعات الإسلام السياسي كحكم عام لديها في العصر الحديث.

## خط متعمد

رغم كون الحكاية تاريخيا، لكن في ظل اختلاط الدين بالتاريخ، أصبح كل فعل مروى عن الأجيال الأولى حكما ملزما للمسلمين، مع أن الكثير من أفعال الناس في تلك الأزمنة في شؤون السياسة والحكم اختلفت، بل تناقضت أحيانا.

من الضروري تحرير الدين من هيمنة التاريخ وتقييده، واستيضاح تصورات، وديناميكيته بعيدا عن الأطر الزمنية المحدودة، وهو ما مثل طرعا لكثير من المفكرين الداعين إلى الإصلاح.

قال أشرف منصور، أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية، شمال القاهرة، لـ "العرب"، إن "صحة أو عدم صحة الروايات التاريخية ليست هي الأساس الذي ينبغي التركيز عليه، إنما اختلاف الزمن وعدم جواز استدعاء التاريخ لصناعة أوامر أو نواهي دينية".

وأوضح، أنه يجب الأخذ في الاعتبار الكثير من الأمور، مثل الصراع العسكري المعاصر لكل واقعة، والسياق القتالي الذي شهد أحداثا مشابهة بين أفراد هنا وهناك، وهذه الوقائع لا تعكس منهجا دينيا، إنما تعبر عن تصرفات وسلوكيات أشخاص باعينهم لهم دوافعهم الذاتية. وأضاف أن العالم تغير وتطور، ولم يعد السياق القتالي سائدا، بل ظهرت دولة القانون والمؤسسات وصارت الحقوق والحريات محفوظة بموجب القوانين، وصار التعامل مع المخالف أو الخارج عن القانون وفق تشريعات واليات حضارية معروفة، بمعنى أن ما يحدث في أثناء تكوين الدول لا يصلح بالضرورة في فترات ما بعد تكوينها.

## دين بديل

أكد الدكتور محمد فياض أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الآداب جامعة طنطا، شمال القاهرة، لـ "العرب"، أن "عقدة تمجيد التاريخ لدى المسلمين أدت إلى تقمص الأصوليين دين التراث والأحداث التاريخية، كدين بديل، وشقان بين الدين المثير، والتراث، سواء أكانت الأحداث حقيقية أم مفتعلة".

وأوضح أن دين التاريخ السياسي ودين التراث نجده مزدحما بمصطلحات مثل الجهاد، الخلافة، أهل الذمة، الجزية، السبايا، وغيرها من الكلمات التي كان من المفترض أن تختفي بفعل الزمن.

وكان في مرحلة معينة بمثابة البلاغ المدين تحت مبدأ "خلوا بيني وبين الناس" ثم تطور الأمر إلى "جهاد الداخل" و"جهاد



توجيه عقل المتلقي نحو التعامل مع النصوص القرآنية وغيرها في سياقاتها التاريخية يعد السبيل الوحيد من أجل الخروج من مآهات العنف والنجاة من جرثومة التطرف



المعارضة السياسية"، وصولاً إلى كلمة الجهاد التي تحمل في طياتها العنف والتطرف ودماء الأبرياء.

وتابع قائلا "حدثت مزاجية غريبة عند قتل المفكر المصري فرج فودة عام 1992 بين واقعة اغتياله القذرة وبين تلك الحادثة السحيقة باغتيال كعب بن الأشرف، فلم يفرق أتباع قطع الجماعات الإسلامية بين حادثة جثت في تاريخ تأسيس الدولة الإسلامية وبين واقع المواطنة والحريات الفكرية المعاصر، حتى أن من يدعون أنهم من الوسطيين مثل الشيخ الراحل محمد الغزالي قال على المنابر قبل قتل فرج فودة بعشرة أيام "ربنا يهديهم وإن ما هدامش يأخذهم، وبعد واقعة الاغتيال تطوع الغزالي في المحكمة ليقول إن القاتل لم يقتل إلا رجلا كافرا مستباح الدم".

ورأى فياض، أنه من المحزن أن يبقى غارقين في تاريخ العصور الوسطى في حين تجاوزت كل شعوب العالم هذه العصور بممارستها ودمائها، لذا فإن كل حدث إرهابي حدث أو سيحدث لا يخلو من نص تاريخي كرهه.

صحبى منصور المفكر الإصلاحي، أن هناك فرقا كبيرا بين الإسلام كدين سماوي وحقايقه وأوامره ونواهي، وبين التاريخ وما يقدمه من حكايات نسبية تحتل الصواب والخطأ.

وكشف منصور، في دراسة حديثة حذرت من سقوط الفكر الديني في مستنقع التاريخ، حيث إن الأصوليين يحاولون الشخصيات التاريخية إلى كائنات مقدسة لا يجوز الاقتراب منها، ما يحول الكثير من الأمور الحياتية إلى نوابت، وهو ما يؤدي بعد ذلك بالناس إلى الانزواء أو التحول إلى قنابل متفجرة في البشرية ومعادية للحضارة.

وأشار إلى أن الفصل بين المنهجين القرآني والتاريخي ضروري لقراءة الدين خالصا واستيعابه بعيدا عن أهواء البشر وتوجهات الحركات السياسية، ففي المنهج القرآني، من اللازم قراءة النص دون رأي مسبق واستلها مفاهيمه والوقوف على معانيه من خلال المعاني الواردة في الآيات الأخرى، أما المنهج التاريخي فيقوم كله

## التعامل مع النصوص الدينية وسياقاتها يجب أن يكون بحذر

وأكد ياسين، والذي يقوم مشروعه الفكري على فصل الدين عن كافة ملحقات البشر من تاريخ، وتطور اجتماعي، ومؤثرات بيئية، أن الدين عبر عن ذاته باستحداث نصين جديدين هما مجموعة الروايات التي استندت على تسميتها بالأحاديث والروايات الأحادية المنسوبة إلى أئمة آل البيت، وعبرهما أضيفت أحكام عديدة من صنع البشر.

وعنده لا أمل في إصلاح ديني حقيقي، إلا من خلال إعادة النظر في نطق الدين من أصله، بما يعني فك الارتباط بين الإلهي المطلق والاجتماعي التاريخي، أي بين الدين والدين.

ومما يذكره عبد الجواد ياسين في كتابه الشهير "السلطة في الإسلام" أن العقول الإسلامية الأولى وقعت في خطأ تاريخي، لأنها تورطت في تدوين الحوادث التاريخية، واكتسبتها منذ اكتمال التدوين مشروعية النص الثابت ذاته وقداسته، ولا يزال عقل المسلم حبيس هذه المرجعية حتى العصر الراهن ومبنياً عليها، وقضاياها المطروحة في زمنها الأول لا تزال حاضرة في السطح الراهن للإسلام السياسي وتنظيماته الحركية على اختلافها، وهو ما يولد فجوة بين العقل المسلم والعصر وبينه وبين العقل الإنساني بوجه عام.



عبد الجواد ياسين

العقول الإسلامية الأولى وقعت في خطأ تاريخي، لأنها تورطت في تدوين الحوادث التاريخية

ولن يُنتج الاستمرار في عرض الإسلام للعالم كما تقدمه المنظمة السلفية الانصية المتكسدة بجبال من الفقه، والمشعبة بروح الخصومة مع العقل والتوجس من الحرية، إلا المزيد من تكريس الفصام بين الإسلام وبين العالم، وعلى المؤسسات المتخينة للإصلاح الديني الحقيقي تحرير الدين من وصاية تاريخه الإقليمي الطويل.